مشكلة اسرائيل بين امثولة التاريخ وبرامج البقاء

انطوان بطرس

تحتفل اسرائيل بمرور خمس وعشرين سنة على قيامها وهي لا تزال في حالة حرب مع الدول العربية تحكمها قانونيا اتفاقيات هدنة او قرارات وقف اطلاق نار . وهي ، بواسطة ثلاث حروب رئيسية خاضتها ضد العرب ، تمكنت ان تجعل وجودها المؤقت يستمر طوال هذه الفترة الطويلة .

اما الوضع الفعلي الذي يتحكم بعلاقاتها بالدول العربية فهو وضع متناقض واكثر سوءا مما كان في أي وقت مضى . فهناك استعداد لدى عدد من الدول العربية المحيطة بها للاعتراف بها ان هي انسحبت الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ، وعزوف عن المبادرة بالنسبة للدول التي لا تزال تعلن رفضها لها . اما الشعوب العربية فهي لا زالت في مرحلة الرفض الاساسي لكن غير المستند الى مقدرة للتعبير عن الارادة والسعي لتحقيق هذه الارادة . اما في عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ فكان الرفض شاملا وان كانت الارادة دون مستوى الاحساس . وبالنسبة لاي مراقب خارجي فاسرائيل ، وفق هذه الاوضاع، قائمة لتبقى طالما ان احدا من المعنيين لا يملك القدرة على طردها .

ويبرز هذا الواقع ضمن اطار من الاحتفالات الكبرى ليوبيل يمثل ربع قرن من الاستمرار والتواجد ، فيثير انفعالات مؤلمة قاسية لدى العرب بسبب ما يمثله هذا الواقع من قهر للارادة العربية ودلالة على ان الزمن لا زال يسير لصالح اسرائيل وان ذلك قد يستمر ان لم يحدث تغيير جذري لا زالت ملامحه ، بل قل رؤاه ، غير موجودة .

من جهة أخرى فان هذا الواقع يمثل في الوقت نفسه جوهر المعضلة الاسرائيلية . فلقد استطاعت اسرائيل ان تفرض نفسها بحد السيف ، لكن الى متى يظل سيفها مجليا وهل ان الارادة العربية المقهورة ستظل ظاهرة تاريخية أم انها ستتحرك مع التطور العربي فيعود العرب الى مواقفهم الاساسية كما حصل ايام الصليبيين ؟ وبحسب تعبير احد الخبراء الاستراتيجيين الاميركيين فان اسرائيل « قد » تظل متفوقة ربع قرن اخر « ولكن المنطق وقانون المعدلات يوحي بان اسرائيل الصغيرة المحاطة بكتلة بشرية هائلة من العرب ستفقد في وقت ما تفوقها »(١) .

هل يعمل الزمن لصالح اسرائيل ؟

لم يكن المحللون الاستراتيجيون البعيدون هم وحدهم الذين اثاروا هذه التساؤلات . بل ان هذه التساؤلات بدأت في الظهور مباشرة بعد انتصار اسرائيل في حرب حزيران . كتب حول ذلك مبكرا جندي اسرائيلي مغمور ترك اسرائيل ليعمل في لندن مع الجماعة الرافضة التي عرفت فيما بعد باسم « متسبن » يدعى شمعون تزابار . وقد كتب ذلك في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، كما ونبه الكاتب الاسرائيلي آهارون كوهن الى ان البلاد العربية لم تستثمر بعد طاقاتها ومواردها الاساسية ، وان اي تطور في هذا المجال سيضيق الشقة بينها وبين اسرائيل . فالعرب ، كما كتب ، يمثلون ٣ ٪ من عدد سكان